

* الحديث *

عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ فَوْمٍ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَفْهَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا" رواه البخاري.

* أولاً — التعريف بالصحابي راوي الحديث *

هو النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الأنصاري الخزرجي، والداه صحابيَّان، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة، بأربعة أشهر. سكن النُّعْمَانُ الشَّامَ وولِّي إمارة الكوفة من قِبَلِ معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- ثم نقله إلى حمص وتوفي بها سنة 64 هـ، روي له من الأحاديث 114 حديثاً.

* ثانياً — شرح المفردات *

الْقَائِمُ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ: المنكر لها القائم في دفعها وإزالتها، والمراد بالحدود: ما نهى الله عنه. | اسْتَهْمُوا: اقترعوا فيما بينهم. | خَرَقْنَا: ثَقَبْنَا. | نَصِيبُنَا: حَقُّنَا. أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ: منعهم مما أرادوا فعله.

* ثالثاً — المعنى الإجمالي للحديث *

صنف النبي ﷺ الناس في المجتمع من خلال هذا الحديث الشريف إلى ثلاثة أصناف: المستقيم على حدود الله تعالى، والتارك للمعروف المتركب للمنكر، والمتباطئ عن دفع المنكر. وهذه الأصناف الثلاثة حالها كحال ركاب سفينة، أخذ كل منهم مكانه بالقرعة، فكان من في الأسفل يرغبون بالصعود إلى أعلى السفينة ليأخذوا الماء، حيث إن هذا التصرف في نظرهم يسبب ضرراً لغيرهم؛ لذا أرادوا أن يفتحوا فتحة في نصيبهم تمكنهم من أخذ حاجتهم من الماء دون إيذاء غيرهم، فإن تركوهم وما أرادوا من تخريب السفينة بالخرق، فإنهم سيهلكون جميعاً، وإن منعهم نجوا ونجوا جميعاً.

* رابعاً — الإيضاح والتحليل *

أ. مفهوم الحرية الشخصية: هي (هي إمكانية الفرد دون أي جبر أو شرط أو ضغط خارجي- على اتخاذ قرار أو تحديد خيار من عدة إمكانيات موجودة).

ب. ضوابطها: مبدأ الحرية الشخصية في الإسلام محكوم بضوابط معينة لا يجوز تجاوزها أو المساس بها. فهي منظمة ضمن إطار معين حتى تحقق أهدافها والتي بدورها تخدم الإنسانية والعقيدة على حد سواء، ويمكننا تلخيص هذه الضوابط بالآتي:

1. أن لا تخالف نصاً شرعياً: فقد شدد الإسلام على موضوع التعدي على ثوابت الدين والشرع، أو المجاهرة بالفواحش والمعاصي والعمل على نشرها بحجة التحرر الفكري والانفتاح.

2. أن لا تلحق ضرراً بالآخرين: يشترط أن لا تؤدي الحرية الشخصية إلى إلحاق الضرر أو المساس بحريات الآخرين، والاعتداء على خصوصياتهم.

فكل إنسان مقيد بحرية غيره، بمعنى أن حريته تنتهي حيث تبدأ حرية غيره، فلا يجوز له مصادمتها.

3. أن ترتبط بالمسؤولية: الحرية الشخصية لا تعني انعدام المسؤولية، فالإنسان مسئول عن نفسه وخياراته، وعليه تحمل عواقب كل ما يصدر عنه.

ج. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمان المجتمع الإسلامي وقوامه الأساسي. والتهاون فيه يسبب انهيار الأمم والحضارات؛ فوجب الأخذ بيد المقبلين على فعل المنكر وإنقاذهم من الهلاك وهلاك أمتهم. والأمة تفقد خيريتها، وتضيع وعد الله بنصرتها إذا لم يأمر أفرادها بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر.

د. مراتب تغيير المنكر: المنكر الذي يجب أن تتظاهر الجهود لإزالته وتغييره له ثلاث مراتب بينها الحديث التالي: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم.

المرتبة الأولى — التغيير باليد: ويقوم به من أعطاه الشرع ذلك، كولي الأمر أو من ينوب عنه، وكالوالد مع ولده، فهم مسئولون أمام الله. المرتبة الثانية — التغيير باللسان: بالإرشاد، والتوجيه، والوعظ، عن طريق التخويف بالله -تبارك وتعالى- والتحذير من مغبة إتيان هذا المنكر أو الإصرار عليه.

المرتبة الثالثة — التغيير بالقلب: ومعناه (مقت المنكر وكرهه والاشمئزاز منه). ومن لم ينكر المنكر بقلبه فليس في قلبه شيء من الإيمان، إذ أن إنكار المنكر بالقلب هو القاعدة الأساس، وهذه القاعدة مشتركة بين جميع المراتب، فمن أنكر بيده فلا بد أن يكون منكراً بقلبه، ومن أنكر بلسانه فلا بد أن يكون منكراً بقلبه أيضاً.

هـ. المسؤولية الجماعية ودورها في سلامة المجتمع: الحديث يشير إلى المسؤولية الجماعية في عدم ترك ذوي الرؤى الضعيفة وإن كانوا أصحاب نوايا صحيحة- دون توعية أو تنبيه أو تبصير؛ لأنهم لو تركوهم فإن يسلّموا هم أنفسهم؛ لأنّ البلاء يعم الجميع، ولن يختار أحداً ويترك الآخر. فسلامة المجتمع مسؤولية الجميع، فلا يكفي اعتزال المفسدين، بل لابد من مزاحمتهم والأخذ على أيديهم ومنعهم.

* الأحكام والفوائد *

- 1 - وجوب القيام على حدود الله. (حكم)
- 2 - تحريم الوقوع في المعاصي. (حكم)
- 3 - وجوب النهي عن المنكر. (حكم)
- 4 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين. (فائدة)
- 5 - جواز الاقتراع والاحتكام إليه. (حكم)
- 6 - أهمية التشبيه التمثيلي في التربية والتعليم. (فائدة)
- 7 - المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة. (فائدة)
- 8 - على المؤمن أن يكون إيجابياً في مجتمعه، ولا يكون سلبياً. (فائدة)